مولده وطفولته وسنوات شبابه كأمير

وُلِد طفل ذكر في قصر خاص بالأمراء المنتسبين لآل عثمان الذين كانوا يديرون الحكم في مدينة "طِرَابْزُونْ (*Trabzon*)"[1] الساحلية المهمة الواقعة في شرق سواحل البحر الأسود في تركيا اليوم في السادس من شهر صفر عام ٩٠٠هـ؛ هو حفيد بايزيد الثاني ابن السلطان محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية / إسطنبول. وكان والده هو السلطان ياووز سليم الذي سيقضي على الدولة المملوكية فيما بعد.

كان السلطان سليم يقيم في "طِرَابْزُونْ" كأمير منذ سنة ٨٩٢هـ، وبينما كان يقيم في هذا المكان إذ تعرّف على جارية تُدعى حفصة، وبنى بها فأنجب منها ابنًا ذكرًا سمّاه سليمان تيمنًا بسيدنا سليمان عليه السلام الذي رأى اسمه في صفحة مفتوحة من القرآن الكريم قَدَرًا.

قضى سنوات طفولته بجوار والده في القصر الواقع في "طِرَابْزُونْ"، وكانت "طرابزون" عاصمة الدولة التي أسستها عائلة "كومنينوس (*Komnenos*)" وهي إحدى عائلات الإمبراطورية البيزنطية عقب احتلال اللاتين للقسطنطينية في سنة ١٢٠٤م أي أن "طِرَابْزُونْ" كانت عاصمة إمارة الروم.

وقد فتح هذه المدينة السلطان محمد الفاتح في سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م. وكانت مدينةً متنوعة الأجناس، وتتصف بالنشاط والحيوية لأنها تقع على الطرق التي تصل إلى القِرْم والقفقاس (القوقاز) وإيران.

وعندما تخطى سن الطفولة وأصبح يافعًا، أثرت في طبيعته بيئة "طِرَابْزُونْ" القاسية، وجوها القارس القاسي.

تلقى تعليمًا وتربية جيدة باعتباره الابن الوحيد لأبيه في الحياة، وكان ذلك

---

(١) محافظة في شمال شرق تركيا اليوم. (المترجم)

في القصر الذي شاهد منه أمواج البحر الأسود المتلاطمة.

وفي تلك الأعوام كان له صديق حميم مخلص مشـهور ومعروف وهو في الوقت نفسه أخوه من الرضاعة يدعى يحيى.

ويحيى هو ابن عمر افندي الذي عمل قاضيًا في "طِرَابْزُونْ"، ثم اسـتقر بعد ذلك في إسطنبول، وكان عالم دينٍ متصوفًا ذا شأن.

وكانت تكيته الموجودة في حي "بشيكطاش" واحدةً من أكثر الأماكن شُهرةً في إسطنبول في القرن السادس عشر الميلادي.



نقش تمثيلي بارز للسـلطان ياووز سـليم. (فرانكفورت) *(Vahre Abbildungen*
der Türkischen Kayser und Persischen sowohl anderer Helden
und Heldinner von dem Osman bis auf den andern Mahomet
((Georg Greblinger) Frankfurt (١٦٤٨م)

وقد عين الأمير سليم العالم الكبير خير الدين أفندي معلمًا لابنه سليمان.

حيث علّمه إلى جانب القراءة والكتابة المعلومات الدينية الأساسية.

بالإضافـة إلى ذلك فبينما كان سـليمان يلعـب الألعاب المتنوعة في حديقة القصر مـع صديقه الحميم يحيى كان يشتغل أيضًا ببعض الصناعات اليدوية.

كان هذان الصديقان قد تعلما مهنة صياغة الجواهر من رجل رومي في "طِرَابْزُونْ".

وواصل سليمان فيما بعد مهنة صياغة الجواهر عندما اعتلى العرش أيضًا.

وكان في الأيام العصيبة الخانقة ينكب من وقت لآخر على الاشتغال بالأحجار الكريمة بغرض الراحة والابتعاد عن أمور الدنيا.

وعندما بلغ سن الشباب شاهد العمليات العسكرية في المنطقة التي يتواجد فيها والده.

وأدرك للمرة الأولى وفي الوقت المناسب الأحداث الجارية حوله وصراعات والده في هذه الحدود / الثغور.

لأن والده دخل في تلك الأثناء في صراع شديد مع قوات الشاه إسماعيل الصفوي الذي تحرك بشكل فعّال على الحدود العثمانية، وحاول تأسيس دولة، جامعًا حوله التركمان أصحاب الميول الشيعية خاصة سنة ٩٠٦هـ وفي سنة ٩١٢ - ٩١٤هـ التي ازدادت فيها سرعة الصراعات والاشتباكات على حدود "سَنْجَقْ (*Sancak*)"[٢] طِرَابْزُونْ؛ فاضطر الأمير سليم إلى القيام بسلسلة من العمليات العسكرية السريعة في نواحي "أَرْزِينْجَانْ (*Erzincan*)"، وربما شارك سليمان بجانب والده في بعض هذه العمليات واكتسب أيضًا تجربته السياسية والحربية الأولى، وربما أنابه والده مكانه في "طِرَابْزُونْ" عندما يغيب عنها في بعض الأوقات.

وفي الوقت الذي كثّف فيه والده المعارك الواقعة على خط حدود سَنْجَقْ

(٢) السنجق هو التقسيم الإداري للولايات في الدولة العثمانية بحيث تكون الولاية مكونة من عدة سَنَاجِق. يشير هذا المصطلح في اللغة التركية إلى "العلم الراية"، وهو ما يعادل لواء بالعربية. مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥م) السلطان العثماني قرر استخدام هذا المصطلح للإشارة إلى التقسيمات الإدارية في إطار الدولة العثمانية. كان السنجق الذي يسمى (لواء) أيضا تقسيما إداريا ما بين الولاية والقضاء من حيث المساحة. وكان يُسمى من يرأسه "متصرفا". وقد ألغيت السناجق في العصر الجمهوري، وجعلت ولايات. (المترجم)

"طِرَابْزُون"، أقيمت في قصر "طِرَابْزُونْ" مراسم ختان فاخرة للغاية -طبقا للتقاليد الدينية- للأمير سليمان الذي أكمل عامه العاشر وقد أقيمت هذه المراسم في أحد شهور صيف سنة ٩١٠هـ (١٥٠٥م)، وكان هذا الوضع يعني بالنسبة لسليمان أنه تخطى منذ ذلك الحين سن الطفولة وبدأ من هذا التاريخ يتصرف على اعتبار أنه أميرٍ شاب ينتسب إلى آل عثمان.

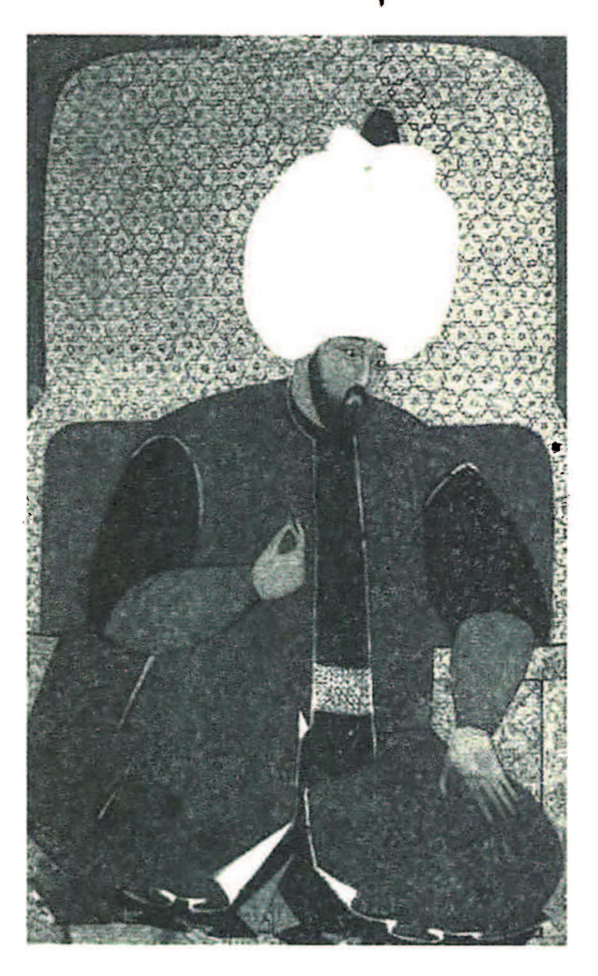
ومن المحتمل أنه كان يعيش في القصر مع والدته حفصة سلطان وأخواته البنات، ولأنه الابن الذكر الوحيد فمن الواضح أنه لم يحظَ بانتباه واهتمام والده سليم إليه فحسب بل حظي كذلك باهتمام والدته وأخواته البنات؛ حتي إنه كان شاهدًا أيضًا على زواج بعض أخواته البنات ببعض الباشوات من أهل الوجاهة في الدولة العثمانية.

وقد حان من الآن فصاعدًا وقت تعيين سليمان الشاب لقيادة وإدارة أحد السناجق وفقًا لعادة الدولة العثمانية، وإزاء رغبات ومطالب والده الملحة وافق جده بايزيد الثاني على تعيينه في النهاية في منصب إداري، بيد أن هذا القرار أدى إلى معارضة الأمير أحمد الأخ الأكبر للأمير سليم، والذي كان يتولى الإدارة في "أَمَاسْيَا (*Amasya*)" ويرى نفسه أكبر المرشحين للعرش العثماني بعد بايزيد الثاني، وفي تلك الأوقات كان الأمير سليمان -الذي بلغ حوالي الخامسة عشرة من عمره- يتابع بقلق واهتمام كل هذه الأحداث وكان والده الأمير سليم يستعد رويدًا رويدًا لصراع متوقع على العرش ضد أخيه الكبير الأمير أحمد وبالإضافة إلى ذلك يكون قد اختبر ماذا سيفعل أخوه في طلبه السَنْجَقْ لابنه، ولم يخطئ الأمير سليم في تخميناته وظنونه فقد واجه أخاه الكبير أحمد بسبب السَنْجَقْ الذي طلبه من أجل ابنه سليمان.

حيث طلب سليم من أجل ابنه سَنْجَقًا في مكان قريب من منطقته، بيد أن هذا المكان كان يقع في الوقت نفسه بالقرب من منطقة الأمير أحمد الواقعة في أَمَاسْيَا.

عـرض بايزيـد الثانـي على حفيـده الأمير سـليمان سَـنْجَقْ "سُـلْطَانْ أُونُو (Sultan Önü)" الواقـع فـي منطقـة "أُسْكِيشَـهِرْ (Eskişehir)" الحالية وهو في مـكان أبعـد، ولكـن يمكن الوصـول إليه بسـهولة؛ وذلك من أجـل تهدئة هذه المشـكلة بيـن ابنيه سـليم وأحمد، وإلى جانـب ذلك عرض منطقة "كِيرَسُـونْ (Giresun)" - "شِيرَانْ (Şiran)" الواقعة بالقرب من سَنْجَقْ سليم كبديل أيضًا، رفض سـليم هذين العرضين لأنه كان يطمح لسـليمان في سَـنْجَقْ "شَـبِينْ قَرَه حِصَارْ (Şebinkarahisar)" الموجود في موقـع اسـتراتيجي مهم.

ورغم أنه ألحّ على والده في هذا الموضوع إلا أن والده رفض لرجحان كفة الأميـر أحمد وأتباعه لديه. وأن الأميـر أحمد وأتباعه لم يقبلوا هذا الطلب على اعتبـار أنها مسـألة صعبة شـديدة الوطأة.



منمنمة ترد في كتاب نقاش عثمان المسمى "شمائل نامة: رسالة الشمائل" عام ١٥٧٩م، وتصور مرحلة شاب سليمان الأول

حتـى إن الأمير أحمـد اعترض على منح سَـنْجَقْ "بُولُـو (Bolu)" الكائن في موقـع أقـرب إلى إسـطنبول لابن أخيه سـليمان مقترحًـا ضـرورة تعيين ابنه مـراد في هذا المكان.

وفـي النهايـة تـم تقديـم عـرض من البـاب العالـي يمكـن أن يُرضـى كلا الطرفيـن، ويقضـى العرض بمنـح الأمير سـليمان سَـنْجَقْ "كَفَـه (Kefe)"[٣] الواقـع في شبه جزيرة "القِرْم (Kırım)" في الضفة المقابلـة لـ"طِرَابْزُونْ"، ومنـح الأمير مراد سَنْجَقْ "بُولُو" (٩١٥هـ - ١٥٠٩م).

كان الأمير سليمان متابعًا عن قرب لـكل هـذه المراسـلات والمبـادرات،

(٣) "كَفَه" هي مدينة ساحلية وميناء في شبه جزيرة القِرْم بأوكرانيا، على البحر الأسود. (المترجم)

وتعلّم أيضًا كيف تسير الأمور، وربما أكسبه هذا أيضًا التجربة الأولى من ناحية إدارة الدولة. أما التجربة الكبيرة الثانية في هذا النسق فهي التي سوف يكتسبها في أثناء الصراع الذي سيقوم به والده سليم من أجل اعتلاء عرش السلطنة.

ذهب الأمير سليمان إلى مكان الوظيفة الإدارية الأولى ورافقته والدته ومعلمه ومربيه، حيث غادر "طِرَابْزُونْ" التي ولد فيها وقضى فيها خمسة عشر عامًا، والتي لن يعود إليها مرة أخرى، وصلت السفينة التي ركبها إلى ميناء "كَفَه"بعد أن كانت تسير في محاذاة الساحل الذي يتلاطم بالأمواج في مياه البحر الأسود العاتية.

فهذه المدينة الساحلية المعروفة اليوم باسم "فيودوسا (*Feodosia*)" وهي مستعمرة "جَنُوَة (*Cenova*)" القديمة التي تقع في جنوب شرق شبه جزيرة القِرْم أصبحت سَنْجَقًا عثمانيًا بعد أن تم الاستيلاء عليها في عهد السلطان محمد الفاتح عام (٨٨٠هـ - ١٤٧٥م) أما أميرها العثماني الذين عُين للمرة الأولى في هذا المكان فهو محمد وهو ابنٌ آخر لبايزيد الثاني غير أن هذا المكان لم يمنح لأي شخص آخر ينتسب إلى آل عثمان بعد وفاة هذا الأمير المفاجئة، ونُصِب سليمان على "كَفَه" بدلًا من عمه، وأصبح ثاني وآخر منتسب لآل عثمان يعين في هذا المكان.

ولا توجد معلومات لدينا بشأن ما شهده من أحداث محلية في أثناء إمارة السَنْجَقْ والتي استمرت لمدة ثلاث سنوات.

بيد أن صراعات والده سليم على العرش والذي وصل إلى "كَفَه" بعده بعدة أشهر يبدو أنها قد حددت الأحداث التي أثرت في إمارة هذا السَنْجَقْ؛ حيث جمع الأمير سليم الذي قرر قطع علاقاته تمامًا بأبيه وأخيه وكل رجاله وأشيائه المهمة، وغادر "طِرَابْزُون" بستٍ وخمسين سفينة صغيرة، ووصل إلى ابنه في "كَفَه" في شهر شعبان ٩١٦هـ (تشرين الأول/أكتوبر ١٥١٠م).

بـدا قدومـه إلى "كَفَه" وكأنه أحدث مفاجـأة صاعقة في مركز الدولة، حيث بدأت المراسـلات بيـن أخيه أحمد وأبيه بايزيد وبين الـوزراء... في هذه الأثناء استغل سليم وجوده بجانب ابنه وأقام علاقة مع إمارة القِرْم التي اعترفت رسميًا بالسيادة العثمانية عليها منذ عهد السلطان محمد الفاتح.

وجمـع مؤيدين له، ورفض بإصرار الاقتراحات والعروض التي قدمها أبوه له من أجل عودته.

لابـد وأن الأمير سـليمان قـد عاش أياما عصيبـة مضطربة في أثنـاء أعماله ونشاطاته هذه، وكان شاهد عيان على الصراع على السلطة الذى نشب بين جده بايزيـد الثاني الـذي يتولى العرش العثماني وأبيه سـليم، ومن الممكن أن يكون "قـد سـاوره القلق من عاقبة هذا الصراع بالنسـبة له حيث كانـت نهايته غامضة. وكانت شـائعات وصلت إلى مسـامع مركز الدولة على شـاكلة أن والده سليما يفكر في إقامة دولة مسـتقلة منفصلة في "كَفَه" والقسـم الشـرقي من "القِرْم" بل وفي القسم الشمالي الغربي.

وفي هذه الحالة لم يكن سليم فحسب بل وابنه سليمان أيضًا قد اعتبرا من الأمراء المتمردين الذين ثاروا وشـقوا عصا الطاعة ضد الإدارة العثمانية، بيد أنه لم يتدخل مباشرة في صراع أبيه من أجل السلطة، وربما فضّل الأمير سليم فكرة عدم مشاركته في صراعه من أجل حمايته، وساور سليمان قلق شديد عندما رأى والده يعود إلى القِرْم مهزومًا في معركة "أُوغْرَاشْ (*Uğraş*)" -الواقعة بين أَدِرْنَه (*Edirne*) وإسطنبول- أمام قوات جده السلطان.

يمكـن أن يلاحـظ بعد هذه الهزيمـة أنه كان يجتمـع من حين لآخر مـع أبيه الـذي انسـحب إلى القِـرْم وفضل متابعة التطـورات في إسـطنبول بدلا من هذا المـكان والراحـة لفترة ما، وأنهمـا تباحثا في موضوع كيف سـتصبح أحوالهما وأمورهمـا فـي المسـتقبل وفـي النهايـة تلقـى الوالـد دعمًا مـن الإنْكِشَـارِيّة[٤]

(٤) الإنْكِشَارِيّة: طائفـة عسـكرية مـن المشـاة العثمانيين شـكلوا تنظيمًـا خاصًا لهم ثكناتهم العسـكرية وشاراتهم ورتبهم وامتيازاتهم، وكانوا أقوى فرق الجيش العثماني وأكثرها نفوذًا. (المترجم)

في إسطنبول التي ارتحل إليها واعتلى العرش، فمهَّد هذا الوضع السبيل لبدء مرحلة جديدة أمام الأمير الشاب.

بدأت فترة جديدة بالنسبة للأمير سليمان الذي تصرف من خلال شعوره بكونه الابن الوحيد الوارث للعرش خلفًا لأبيه سليم الذي اعتلى العرش في سنة ٩١٧هـ (١٥١٢م).

عندما دخل سليم الأول باعتباره السلطان العثماني الجديد في الصراع مع أخيه الكبير الأمير أحمد أكبر منافسيه في هذا الطريق من أجل تأمين وترسيخ عرشه لم يكن الأمير سليمان قد غادر "كَفَه" بعد، إنما غادرها بعدما أبلغ أبوه خانَ القِرْم-برسالة كتبها إليه- أنه سيقوم بحملة ضد الأمير أحمد، وأنه سيرسل ابنه إلى إسطنبول على الفور، وأنه سيجعله نائبًا له.

حينما دخل سليمان مضيق إسطنبول (البوسفور) بالسفينة استقبله والده بفرح وسرور. وكتب مؤرخ عثماني كان شاهدًا على هذه الفترة أن السلطان سليم الأول عندما سمع خبر قدوم الأمير سليمان -في أثناء اجتماع الديوان الذي تم فيه دراسة تجهيزات الحملة- أمر بسرور بالغ بإجراء الاستعدادات في الحال من أجل استقبال ابنه بمراسم احتفال، وعلى الفور أطلقت السفن التي أقلعت من الميناء قذائف المدافع تحية للأمير سليمان، ثم نقل إلى سفينة حربية كبيرة وأُنزِلَ إلى الساحل ونقل إلى قصر "طُوبْ قَابِي (*Topkapı*)" باحتفال فخم شارك فيه كل رجال الدولة.

وبعد أن خفف سليمان مشاعر الشوق لأبيه الذي التقى به في القصر أجريت في اليوم الثاني الاحتفالات الرسمية، وقبّل يد أبيه في حضور جميع الوزراء ورجال الدولة الآخرين وكبار موظفي الدولة والعلماء. ومع أنه لا توجد وثيقة رسمية قاطعة بشأن تاريخ وصوله إلى إسطنبول إلا أنه يمكن القول إنه قبيل شهر ربيع الآخر سنة ٩١٨هـ (تموز/يوليو ١٥١٢م).

ولما وصل إلى إسطنبول كانت والدته حفصة سلطان أيضًا بجانبه، حيث ظل الأمير سليمان تحت رعاية والدته حفصة سلطان دائمًا وليس في أثناء فترة الإمارة فحسب بل وفي فترة السلطنة أيضًا؛ ربما كان ارتباطه بوالدته وحبه لها يزيد كثيرًا عن الحب الذي أبداه لوالده، فلم يستطع الأمير سليمان أن يتواجد مع والده لفترة طويلة.

لأن السلطان سليم الأول كان قد غادر إسطنبول في آخر جمادى الأولى ٩١٨هـ (آخر تموز/يوليو ١٥١٢م) وسار إلى الأمير أحمد لمهاجمته. وفي أثناء خروجه إلى الحملة ترك ابنه نائبًا عنه في السلطنة.

وفي تلك الأثناء كان الأمير سليمان -الذي بلغ الثامنة عشرة من عمره- قد أصبح على رأس القصر وهيئة الديوان، مما أكسبه خبرة ليضيفها إلى الخبرة التى اكتسبها بفضل تجربته الأولى ليستفيد بها في حكم السلطنة العثمانية في المستقبل.

بعد أن هزم والده أخويه الأمير أحمد والأمير "قورقود (*Korkud*)" المنافسين له على حكم السلطة وقضى أيضًا على بعض الأمراء المنتسبين إلى آل عثمان الذين يطمعون في السلطنة، عاد إلى العاصمة في شهر صفر سنة ٩١٩هـ (نيسان/ أبريل١٥١٣م).

ولم يلبث أسابيع قليلة من عودته حتي أرسل ابنه سليمان إلى "مَانِيسَا (*Manisa*)" لإدارة السَنْجَق الجديد.

وعندما تحرك الأمير سليمان إلى "مَانِيسَا" كان الوارثَ الوحيد للعرش.

وقد ورد في السجلات التاريخية بتاريخ رجب ٩١٧هـ (أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/أكتوبر ١٥١١م) أنه كان يوجد في حرم سليمان عندما كان حاكم سَنْجَق "كَفَه" عشر جوارٍ، ومعه والدته، وإحدى أخواته البنات أيضًا، أما في الوثائق الرسمية المؤرخة بتاريخ صفر -ربيع الأول سنة ٩١٩هـ (نيسان/أبريل١٥١٣م) التي أعدت في أثناء ذهابه إلى "مَانِيسَا" فلا يوجد ذكر

بشكل واضح عن النساء الموجودات في حرمه، ولكن يُذكر في قائمة أخرى دُونت عقب ذلك -وباحتمال كبير في "مَانِيسَا"- أن عدد النساء في حرمه ثلاث عشرة، وقد ذكرت أسماؤهن أيضًا. وثمة شخصية معروفة بين هذه الأسماء هي "مَاهِي دَوْرَانْ (*Mahidevran*)" (أي: قمر الزمان) والمعروف أنها والدة الأمير مصطفى.

لهذا السبب فمن المؤكد أن الأمير سليمان قد أسس أسرة بعد سنة ١٥١٣م. وكان يوجد معه عند ذهابه إلى "مَانِيسَا" والدته حفصة سلطان وأخته ومعلمه خير الدين أفندي ومربيه قاسم بَكْ فضلا عن أربعمائة وثمان وخمسين من خدمه، أما الشخصية المعروفة الأخرى بين رجاله فكانت شخصية إبراهيم آغا (بَاشَا) أقرب أصدقائه والذي ربما تعرف إليه حينما كان في "مَانِيسَا" والذي سوف يشاركه القدر فيما بعد.

أقام الأمير سليمان في "مَانِيسَا" سبع سنوات تقريبًا حتى سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م) وهي السنة التي سيعتلي فيها العرش.

كانت "مَانِيسَا" مركز إمارة قديمة قريبة جدًّا من "إِزْمِيرْ (*İzmir*)" في غرب الأناضول، وقد اتخذتها دولة التركمان التي أطلق عليها اسم "صَارُوخَانْ أُوغُلْلَرِي (*Saruhanoğulları*)" (أي: أبناء صَارُوخَانْ) عاصمة لها.

دخلت "مَانِيسَا" بعد ذلك تحت الإدارة العثمانية بشكل قاطع في عهد "يِيلْدِرِيمْ بَايَزِيدْ (*Yıldırım Bayezid*)" وفي عهد محمد شَلَبِي أيضًا من بعده. وقربها من إسطنبول جعل السلطان مراد الثاني (والد السلطان محمد الفاتح) يعيش فيها فترة عندما خُلع عن العرش، ويأمر ببناء قصر فيها، ومن ناحية أخرى اكتسبت موقع ومكانة العاصمة الثانية التي تدير الدولة، لذلك فإن إدارة الأمراء العثمانيين لهذه الولاية كانت لها أهمية وميزة كبيرة؛ حيث تفتح لهم الطريق إلى العرش في المستقبل. وجاء تعيين الأمير سليمان في هذا المكان باعتباره الوارث الوحيد ليعزز ويوطد إلى حد بعيد اتصاف "مَانِيسَا" بالمحطة الأخيرة للأمراء الذين سيعتلون العرش.

وبينما كان الأمير سليمان يُسيّر أموره وأعماله منذ ذلك الحين في هذا المكان كحاكم يتصف بصفة الإداري الرشيد إذ سرعان ما انتقل إلى أدِرْنَه؛ لينوب عن والده وليقوم بحماية الحدود الغربية؛ بسبب قيام والده بحملتين عسكريتين كبيرتين.

وفيما كان والده مشغولًا بالصفويين حيث هزم الشاه إسماعيل في "جَالْدِيرَانْ (*Çaldıran*)"(٥) وتقدم إلى تبريز كان هو أيضًا يرسل الأخبار من حين لآخر إلى والده، ويطلعه على كل شيء، وكان أبوه يتابع بدقة الأحداث الجارية في الغرب. وتصرفَ في أثناء حملة مصر على نفس الشاكلة كذلك. ففي أثناء غيابه جعله مرة أخرى يتابع بدقة التطورات الواقعة على امتداد الحدود الغربية وقد أكسبه كل هذا تجربة مهمة في السياسة التي سوف يتبعها في المستقبل.

فمنذ هذا الحين لم يكن أميرًا بسيطًا عاديًا يهتم بمشاكل المنطقة التي يعيش فيها، بل كان نائبًا للعرش يدير الدولة بمفهوم حقيقي واقعي في غياب والده.

وفي أثناء هذه المهمة عرف الآلية أو التركيبة الداخلية للدولة، وأحاط بالموقف الحقيقي للعلاقات مع الدول الأجنبية، وأصبحت لديه دراية بالمهمة الأساسية للدولة العثمانية. وقد جعله كل هذا إداريًا ناضجًا يعرف ماذا سيفعل عندما يعتلي العرش في المستقبل وليس غِرًّا حديث العهد بالإدارة.

أما في أثناء إمارة سَنْجَقْ "مَانِيسَا" فقد حاول أن يعرف المنطقة التي تحت إدارته فخرج في فصل الصيف إلى الهضاب والمصايف الجبلية، وبسبب الصيد الذي كان شغوفًا به للغاية تجول في ساحة نفوذه التي تشمل قسمًا مهمًا في غرب الأناضول.

وهكذا رأى وضع الشعب عن قرب، فأعد نفسه للعرش بمساندة مربييه (القاسم ثم "سِنَانْ بَاشَا (*Sinan Paşa*)" ومعلمه. وقد وُلد أول أبنائه أيضًا في "مَانِيسَا".

(٥) معركة جَالْدِيرَانْ: وقعت في صيف عام ١٥١٤م بين قوات الدولة العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول، ضد قوات الدولة الصفوية بقيادة الشاه "إسماعيل الأول"، وانتهت بانتصار القوات العثمانية واحتلال مدينة "تبريز" عاصمة الدولة الصفوية. (المترجم)

لا ريب أنه حسبما تبين من الوثائق التي أمكن الوصول إليها فإن سليمان أصبح وليًا للعهد ولديه ثلاثة أطفال ذكور، وكان ذلك قبل أن يعتلي مقام السلطنة في سنة ١٥٢٠م، وفي خلال هذه الفترة لم نعثر على أي وثيقة تتحدث عن بناته، أما أكبر أبنائه فلم يكن هو الأمير مصطفى كما يُظن. كذلك هناك معلومة لافتة للنظر بهذا المفهوم في وثيقة في دفتر يومية كتبها المؤرخ حَيْدَرْ شَلَبِي بيوم الحادي عشر من شهر رمضان سنة ٩٢١هـ (١٩ تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٥١٥م) وردت بالشكل الآتي:

"وصل خبر مع رئيس البوابين بأنه ولد ابن للأمير سعيد الحظ وسمي بالسلطان مراد ليشبه مراد خان".

وتشير هذه المعلومة إلى أن الأمير سليمان أرسل رسالة إلى والده كي يبشره بابنه الأول الذي ولد، والأصح هو اعتبار مراد الابن الذكر الأول للأمير سليمان، ويتبين من هذه الوثيقة أن اسم هذا الطفل مراد قد وضع من قِبل الأمير، ويتضح أيضًا أن السلطان سليم الأول أقر هذا الاسم أثناء انشغاله بالأعمال التي لم تكتمل في الأناضول بعد الانتصار في معركة جَالْدِيرَانْ.

ومن الواضح أن ابني الأمير الآخرين محمود ومصطفى قد ولدا بعد مراد بفترة قصيرة، أما بخصوص تواريخ ولادة كل من محمود ومصطفى فلا نجدها في محرر دفتر اليومية هذا. ولكن ورد في بعض المصادر الأخري أن سنة ولادة مصطفى هي ٩٢١هـ (١٥١٥م).

فإن خَلا هذا التاريخ من التحريف فإنه يمكن ملاحظة أن مصطفى ولد حينئذ عقب وَلادة مراد مباشرة، وأن والدة مصطفى ليست هي والدة مراد والعكس، لكن الأرجح أن مصطفى ولد في سنة ١٥١٧م انطلاقًا من تقارير البندقية. وباختصار فالقول الفصل هنا هو أن مرادا هو الطفل الذكر الأول. وانطلاقًا من هذا يمكن أن يقال إن الأمير سليمان قد تزوج سنة ١٥١٥م وهو في العشرين من عمره.

بعد ذلك بخمس سنوات غادر سليمان "مَانِيسَا" وذهب إلى إسطنبول واعتلى مقام السلطنة ولم يكن لديه أي مشكلة من ناحية استمرار أسرة آل عثمان الحاكمة من بعده فى أنجاله الذكور الثلاثة. وإن كان من المؤكد أن مَاهِي دَوْرَانْ هي والدة الأمير مصطفى فإنه لا توجد معلومة بخصوص والدتى ابنيه الآخرين، والاحتمال الأقوى أن مَاهِي دَوْرَانْ ليست هي والدة مراد ابنه الأول إلا أنه يمكن أن تكون مَاهِي دَوْرَانْ هي والدة محمود.

ويحتمل أن يكون قد تعرف على زوجته "خُرَّم سلطان" التي تعلّق بها كثيرًا في السنوات الأخيرة التي قضاها في "مَانِيسَا".

يزعم بعض المؤرخين أن ثمة احتمالا: أن تكون قد أهديت إلى سليمان في أثناء جلوسه على العرش، ويُدّعى أن "خُرم سلطان" من أصل بولندي "رُوتَانْيَا/ لَهِسْتَانْ (*Rutenya/Lehistan*)"؛ أما اسمها الحقيقي فهو "الكسندرا ليزوسكا (*Alexandra Lisowska*)" وأنها أخذت أسيرةً في مكان يسمى "روغاتين (*Rogation*)" في "لويف (*Lviv*)".

غير أن كل هذه المعلومات لا يمكن أن يتم إقرارها وتصديقها بصورة مؤكدة.

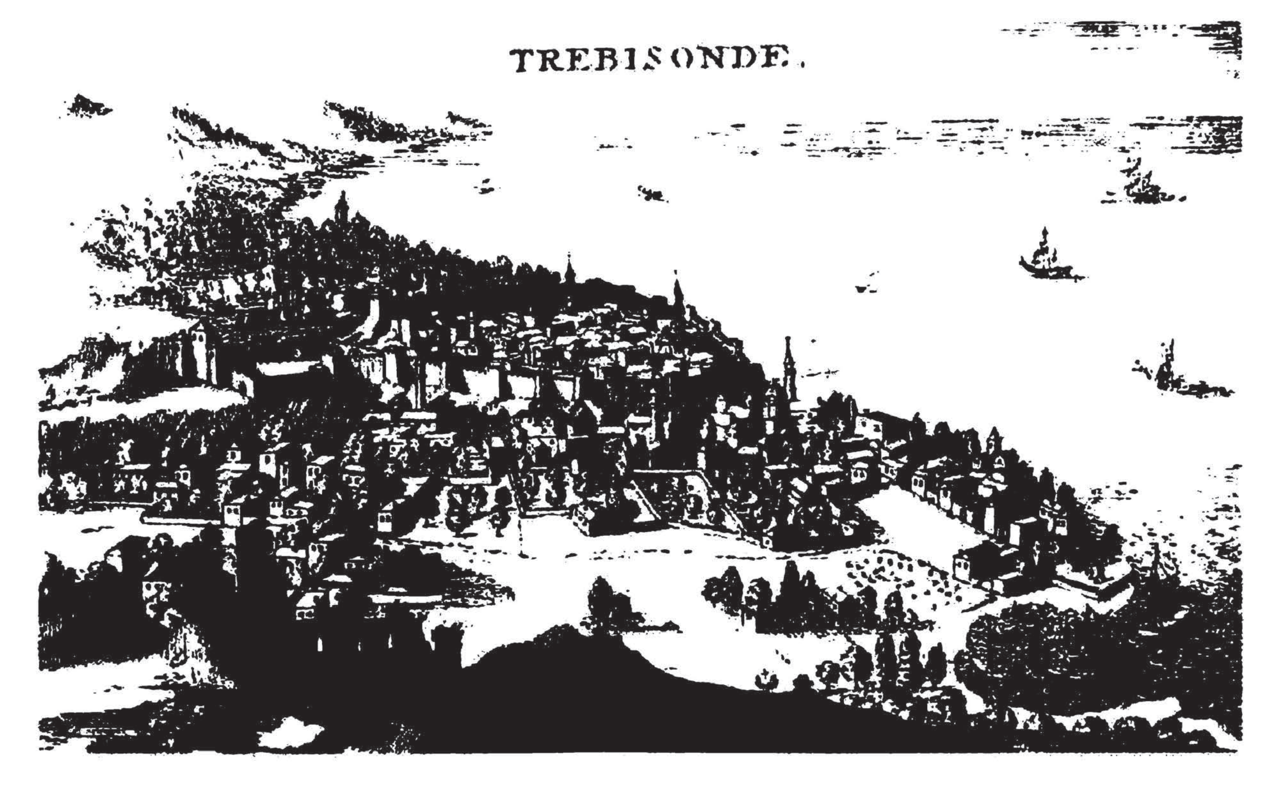
أما المصادر العثمانية فلا تقدم لنا أي معلومة عنها، وبينما تطلق تقارير بعض السفراء البنادقة شائعات خاصة بها، نجد أن المصادر العثمانية تنقل معلومات سماعية خاصة بأصلها. والأمر المعلوم بصورة مؤكدة هي أنها جارية أخذت أسيرة من إحدى البلاد الشمالية وجلبت إلى حرم السلطان سليمان بشكل ما، أما استحواذها على إعجاب سليمان فكان في السنوات الأولى من سلطنته.

ونتيجة لذلك فإن الأمير سليمان الذي عرف في سنوات الإمارة أماكن مثل "طِرَابْزُونْ" و"كَفَه" وأَدِرْنَه وإسطنبول ومَانِيسَا والمنطقة التي عاش فيها. وربما قد اكتسب خبرة مهمة في كيفية التعرف على الأراضي البعيدة في دولته ورؤيته لما وراء الحدود عن طريق إلفه لهذه الأماكن، وبالحملات التي سيقوم بها شرقًا

وغربًا في المستقبل. يبدو أن سليمان -الذي لم ينس أنه تسلم دولة كبيرة عليه تطويرها- قد تحمل عبء وثقل هذه المسؤولية، فقد اهتم اهتمامًا خاصًا -أثناء الإمارة- باكتساب الخبرة في الأمور الإدارية.

حتى وإن لم ترد المعلومات الكافية في المصادر بشأن كيفية تلقيه تعليمًا إداريًا، فكونه الابن الوحيد لوالده وأنه وليّ العهد باعتباره حاكم المستقبل فهذا يشير إلى أنه تلقى تعليمًا سياسيًا بكل ما في الكلمة من معنى.

في هذه السنوات شاهد عن قرب صراع والده على العرش لذا فإنه لن يتجنب في المستقبل الرد بقسوة شديدة على أطماع أبنائه في العرش.



مدينة "طِرَابْزُونْ"